السوط

قصص قصيرة

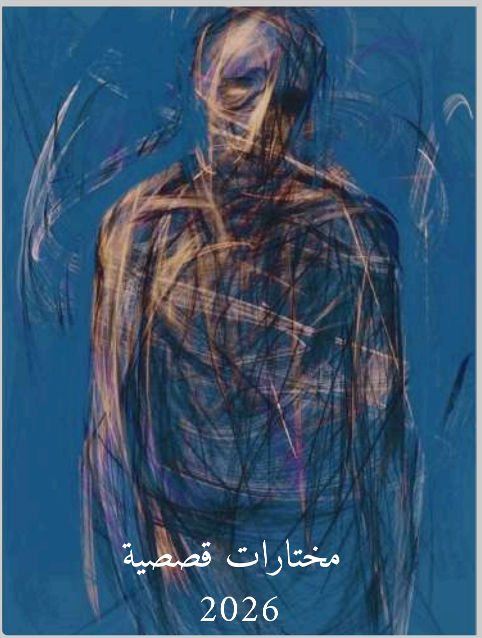

alayedh.rakan

بسم الله الرحمن الرحيم

«رآه منكَبًّا فوقه بالسوط، يضربه بلا ذرّة رحمة، يرفع رأسه فيلكمه، يستنجد به فيضاعف لكماته وصفعاته له؛ حدث ذلك وسط شجيرات مزرعة صغيرة كان يسقيها ويعتني بها»

- هل حدث شيء ليلة البارحة؟

- هل لاحظت شيئًا غريبًا في الطرقات؟ هل رأيت ضوءًا ينبعث منها؟

- لا، كانت مظلمةً مقفرةً وسخةً كما هي.

السوط

قصص قصيرة

© جميع الحقوق محفوظة.
2026

أرجوك غادر..

لم يكن يقصد وجهة محددة، شيء ما أيقظه حدا به نحو الشارع. لم يرتدِ معطفه، هرع مسرعًا نحو وجهة لم يعرفها بعد، لم يتقرر بعد إلى أين هو ذاهب، ولكنه مضى. هطل المطر وهو يسير، لم يتوقف، ظل مثابرًا رغم غزارة المطر وقسوة الرياح.

ثم توقف فجأة، لم يكن قد وصل بعد إلى وجهته التي يريدها ولا يعرفها؛ رأى صبيحة واقفة عند محطة القطار.

لا يدري إلى أين ستتجه هي الأخرى، وكان لم يرها منذ عشرين عامًا أو أكثر أو أقل بقليل، رمقته وهو يحملق فيها، خفق القلب ومعه الذكريات، صور قديمة آتية من قرية صغيرة نائية بها أهوار ونهر؛ تذكّر كيف كانت تسقي الزرع، وكان هو يقف بعيدًا ينظر إليها ككل يوم، هو كان طفلًا مثلها، لم يتجاوزا العاشرة من عمرهما حينئذ. تغيرت ملامحها.

لم يتجرأ يومًا ليقترب منها. المشهد الآن يتكرر؛ ينظر دون أن يفعل أو يقول شيئًا.

قرر أن يكسر قوقعته، أن يعبر عن ما كبته لعشرين سنة، ترك وجهته التي لم يعرفها بعد، ومشى صوبها، المسافة بينهما تقصر وتمتد، يراها وتراه، مع كل خطوة تنحل عقدة، تتحرر نفسه. ظل يسير باتجاهها، يكاد يصل. وصل. التفتت إليه، أمسك يدها على الفور: «أين كنت كل هذا الزمن؟» يسألها.

سحبت يدها، لم تقل شيئًا، مشت خطوات، تبعها، قالت: «أرجوك غادر»، لم يستمع لنصيحتها. جاء موعد قطارها؛ صعدت، وتركته يطالعها وهي تبتعد، ظل متجمّدًا في مكانه، ينظران إلى بعضهما، حتى غاب القطار معها. لم يتوقف المطر خلال النهار كله. امتلأت ثيابه بمياه المطر، عاد إلى طريقه. شعر أنه لم يعد يريد وجهة محددة.

مشى نحو الدكان؛ اشترى زجاجتي عصير برتقال، ثم عاد. وضعهما في الثلاجة، وجفّف ثيابه، ثم نام.

استيقظ فجأة وإذا هو في محطة القطار، ولكن ما شدّه في الأمر أن المحطة كانت قد توقفت الخدمة فيها منذ ما يزيد عن عشر سنوات، هجرت، لا تأتيها القطارات، ليس في قريته محطة قطار واحدة. قام من ذلك المكان، كان يتضور جوعًا؛ أكل في مطعم يطل على النهر، ثم عاد إلى غرفته، واستلقى ونام.

رائحة البحر..

لقد شاهدها للتو، ولكنه فزع، عاد إلى فراشه، اختبأ تحت لحافه، كان متأكدًا من أنها هي. غطّ في نوم عميق. لم يستيقظ إلا قبيل زوال قرص الشمس. خرج من الدار، سار خطوات، استقلّ سيارة أجرة، وتوجّه إلى الكورنيش، محاولًا اللحاق بمنظر الغروب. الجو رطب، رائحة البحر تُحيي ما قد دُفن في مقبرة الذكريات.

ومضت أمامه صورتها مجددًا. ظل جالسًا يشم رائحة البحر، ينظر إليه نظرة مشتاق. الهواء يلامس شعر رأسه، يحرّك بعضه يمنة ويسرة، وهو غارق في النظر، متلذّذ به، كلما أغرق فيه بُعثت الذكريات من جديد.

كان قد التقى بها أول مرة في نفس هذا المكان؛ لم يعرفها قبل ذلك التاريخ. كانا طفلين، لعبوا مع الأطفال على شاطئ الآمال. بنوا بيتًا من الرمل، رسموا قلبًا كبيرًا محا الموج نصفه، وبقي نصفه حتى صباح يوم الغد. اختفت. رآها بعد سنين مضت، أصبحت شابة، بدت نضرة، وجهها يتوهّج أملًا، متوثّبة للحياة.

بقي ينظر إليها؛ لم تعرفه، نسيته، ولكن ملامحها لم تغادر تجاويف ذاكرته، انحفرت فيها. رحلت، لم تأبه له، ظل في مكانه، ينتظر أن يرأف القدر به، لقاء عابر آخر، نظرة خاطفة، يريد أن يتأملها، لا أكثر.

لقد كانت هي من رآها عندما قام ليتبول ليلة البارحة. كيف عرفت شقته؟ ظن نفسه متوهمًا. نهض، غادر الكورنيش، اتجه نحو شقته، فتح نافذة شرفته، أعدّ له كوب شاي، وجلس هناك. سكن الشقة قبل أيام، انتقل

إليها على عجل، الوزارة نقلته إلى تلك المدينة ليعلّم في مدرسة السلام. ظل شارد الذهن، فتر الشاي ولم يشربه.

شعر بدوار، تمدد على كنبة وثيرة في الشرفة اشتراها قبل يومين، نام لساعة أو ساعتين، شعر بعطش، قام ليروي عطشه، وفجأة سمع صوتها، لم يُلقِ بالاً. هلوسات سمعية، هكذا ظن.

أخذ كوب الماء ثم عاد إلى الشرفة، وإذا بها خارجة من المبنى المقابل وتصعد في سيارة فخمة الطراز فاقعة اللون. نظرت إليه قبل أن تصعد، ولكنها لم تعرفه، ولم يَبِن على وجهها شيء، كأنها لم ترَ شيئًا، كان معها رجلَ غريب وطفلان.

لم يشرب الماء، قرر أن ينام على عطشه. بعد أسبوع، انبعثت رائحة كريهة من شقته. مات عطشًا.

إرهابي!

مضت السنون ولم يسأل عنه أحد، ظل هناك لعشر أو اثنتي عشرة سنة، ولمّا خرج لم يتعرّف عليه أحد. يسأل أطفال الحي: هل عرفتموني؟ سُجن قبل أن يولدوا.

أُطلق للتوّ سراحه؛ اتجه إلى حيث يسكن أهله، طرق الأبواب؛ لم يكن هناك أحد، لم يسمع همسًا، رحلوا من تلك الدار، تبرؤوا منه قبل ذلك، يوم دخوله إلى السجن.

قرر كسر الباب، ودخل، تغيّر حتى المكان. لم يعد شيء كما كان عليه، بيعت الدار، جاء صاحبها، أخرجه بالقوة وقذف به من فوق الدرج، سقط على ظهره، تعوّرت فقرات من ظهره، خرج، لم يستقبله أحد.

لم يجد له عملًا، فُصل من عمله قبل السجن.
لماذا سُجن؟

لأنه إرهابي، يريد حرية.

خائن للوطن..

- يا حسن، لقد خنتَ الوطن، وأنا بريء منك إلى الأبد إن لم تتب وتعد عن غيِّك، وإلا تمُتْ.

- إنه وثن.

- ماذا تقصد؟

- ليس في عقيدتي ما يعلو على القيم؛ والحرية رأس تلك القيم وتاجها المذّهب.

- والوطن؟ ماذا عنه يا حسن؟

- أصبح وثنًا يطوف الناس من حوله يا عمر. أنت منهم صرتَ أيضًا.

- أتعيب عليَّ أن قاتلتُ في سبيله وسبيل ولاة الأمر؟

- في سبيل الشيطان تقاتل يا عمر، احذر، إني لك ناصح يا أخي وعليك مشفق.

- ألن تقتل في سبيله إن دعاك يومًا يا حسن؟

- كلا، في سبيل الله أقاتل فقط.

- إلى ماذا تنتمي إذن؟

- إلى القيم.

- اشرح لي يا حسن.

- أقرأتَ شيئًا من هذه النصوص من قبل:
وأمرهم شورى بينهم
ولا تعتدوا
لا إكراه في الدين
لا تفسدوا في الأرض
إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم
وقولوا للناس حسناً
وغيرها الكثير..

- نعم، هذه تعاليم وقيم إسلامية قرآنية، ولكن لم أفهم بعد، ما علاقتها بكلامنا؟

- إلى هذا العالم من القيم أنتمي أنا. هذه العناصر الأساسية التي تشكل هويتي وتصنع شخصيتي، وفيها أرى الوطن الحقيقي الذي يستوعب الإنسانية جمعاء ولا تحده حدود جغرافية ولا قومية ولا طائفية يا عمر.

- هل تقاتل في سبيل هذه القيم إذن؟

- نعم، لأنها الحق الذي في القرآن نزل؛ والتي تقرّها كل الفطر السوية.

كان السجال ساخناً محتدمًا بينهما؛ عجز عمر عن إقناع شقيقه حسن بالإقلاع عن أفكاره "المنحرفة" والعودة عن طريق "الضلال والضياع". رفض حسن كل

محاولات شقيقه؛ تعرّض للاعتقال، عذّبوه، سلخوه؛ كان يردد تحت سياط جلاوزة الوطن: «أحدٌ أحد». لم يستسلم. ظل هناك لأربعين سنة، في زنزانة ضيّقة لا تتسع لمد ساقيه. كان في العشرين من عمره يوم اعتُقل.

حدثت أحداث كثيرة؛ اندلعت حرب جديدة، سقط النظام على أثرها؛ انهارت أسوار السجون، فرَّ السجّانون، وتحرّر المحبوسون. خرج حسن هائمًا على وجهه؛ لا يذكر شيئًا ولا يفهم مما يرى ويسمع شيئًا. تغير كل شيء. سأله الناس عن اسمه؛ فلم يجبهم. نسيه. كبر حسن ذو اللحية البيضاء والجسد النحيل الدقيق.

رآه ابن شقيقه عمر في إحدى القنوات الإخبارية، في لقاء كان يجريه مراسل مع المُحرَّرين، فعرفه فور رؤيته له.. كان لدى والده صور قديمة له، وإن كان الشيب قد ملأ كامل لحيته يوم خرج وشعر رأسه أيضًا. بحث خالد عنه، فوجده؛ اتجه صوبه وقال: "عمي، أنا ابن عمر". ضمَّه إلى صدره دون أن يرد، ثم قال بعد أن أفلته: "وأين عمر؟"

- قال: "لقد استشهد في الحرب يا عم".

- لم يكن يعلم بعد بالذي جرى: "عن أي حرب تتحدث يا ولدي؟" يسأله.

- قال: "حرب الوطن وولاة الأمر على الشعب الأعزل يا عم حسن".

مسافر نحو الشمال..

يستعد المسلمون لأول أيام الشهر الفضيل، ساعتان متبقيتان على أذان الفجر، عاد من العمل متأخرًا، لم يوقظه أحد ليتسحّر، استيقظ كما تعوّد على أذان الفجر، صلى الصبح ثم توجه نحو عمله. كان يومه شاقًا إلا أن الصيام كان ميسرًا، لم يظمأ ولم يجع.

لم يستيقظ سعيد إلا قبيل الإفطار بعشرين دقيقة، كان مستعجلًا جائعًا، خرج ليشتري عصير السوبيا من باحة واسعة في وسط البلد ككل رمضان، لم يسلم من لسانه أحد، كان فاحشًا متفحشًا، وعذره أنه صائم.

رآه خالد وهو عائد من عمله؛ لم ينجُ خالد من لسانه، كان منهكًا ويشتري هو الآخر صناديق صغيرة لتفطير الصائمين ويوزعها على الفقراء والمحتاجين. اشترى سعيد السوبيا وهو يسب سبًّا مقذعًا كل من ظهر أمامه، ظن أنه لم يصم ذلك اليوم على وجه الأرض سواه.

لقد اعتقد أنه متفضل على الله سبحانه بصيامه. يقود مسرعًا بعد أن اشترى عشرة أكياس كبيرة من عصير السوبيا التي لا تُباع إلا في رمضان. دخل موعد الإفطار، خالد يوزع الطعام على المساكين، وسعيد يسب خلق الله أجمعين، زاد سرعته يخشى أن يبدأ أهله بتناول الطعام قبل قدومه.

وعند إشارة المرور، حيث كان خالد يوزع صناديق تفطير الصائمين، توقف سعيد وأخذ خمسة صناديق، ادعى أنه محتاج وهو غريب عن هذا البلد ولا يعرف أحدًا ومسافر نحو الشمال.

لم يفطر خالد إلا بعد الناس بساعتين؛ عاد إلى بيته قبّل أطفاله، تناول ٣ حبات من التمر السكري وكوب ماء، ثم قام يساعد زوجته وأهله قبل أن يخرج ليصلي العشاء في مسجد الحي.

لقد أسر قلبه صوت الإمام الذي أمّ بهم، كان إمامًا جديدًا. صلى ثم همّ بالخروج، ولكنه رأى جماعة من المتأخرين صلوا خلف بقية المصلين، كان إمامهم سعيد المسافر نحو الشمال. تعرّف عليه خالد بعد ذلك، تبين أنه كان من سكان الحي ذاته.

حلم الاقتران..

- ولكن إلى متى سنظل هكذا؟
- إلى أن يأتي الله بالفرج!

ككل زيارة، غادرت أمينة دون أن تنجح في إقناعه بالتوقيع على الورقة، لكن هذه المرة يائسة. قررت ألا تعود إليه مرة ثانية. فكّر سامي بأن مجرد توقيعه على ما أرادوه منه هو خيانة لكل ما هو مؤمن به. كان من المزمع عقد قرانها عليه لولا ما حصل.

أُجبرت هي بعد آخر زيارة لسامي على الزواج من ابن عمها؛ لم تشعر تجاهه بشيء، خافت أن يفوتها قطار الزواج والإنجاب. لم تكن حياتها مع ابن عمها غير عادية، استمرت ككل العلاقات التقليدية التي تعتريها الخلافات والمشاكل، وما قد يصل في بعضها إلى حد التعنيف ولكن ليس إلى الطلاق. أنجبت أربعة صبية؛ وعاشت حياتها معه دون أن تحبه، لكنها تعودت عليه لا أكثر، وعلى أبنائه.

لم يغب سامي عن بالها يومًا؛ حاولت بعد ١٣ سنة من زواجها أن تتقصى أخباره، لكنها لم تستطع. قررت هي أن تذهب إلى معتقله بنفسها. كان بعيدًا عن بيتها، ذهبت ذات يوم، وصلت.

طلبت الحديث معه، رآها، لم ينبس ببنت شفه. لم يدرِ بزواجها من ابن عمها، ظل مطأطأ رأسه خجلاً. لا يدري ماذا يقول لها. ظنها لا تزال تنتظره.

بقيت تنظر إليه وهو كذلك، لم يدر بينهما شيء يذكر، سوى أنهما بقيا يتأملان تقاسيم وجهيهما، قسوة واقعهما، قتامة ما ينتظرهما، يستذكران في عيونهما بعض أيام الصبا، ووعود الحب والوفاء، وحلم الاقتران والعيش معًا. قامت بعد جلسة امتدت نصف ساعة، ودّعته، وخرجت.

عادت إلى بيتها، سألها حسن عن سبب غيابها طيلة اليوم، قالت له: «كنت في زيارة إلى سامي».

تحرر سامي من الأسر بعد سنتين من تلك الزيارة، بحث عن أمينة، دلّه شخص إلى بيتها، زارها، لم يجد غير زوجها وأبنائها، لا يعرف صلة قرابتهم لها. لم يخرج سامي من ذلك المكان.

لم يفرح بسقوط النظام، ولم يعش يوم حرية. دفنوه معها في ذات القبو، ونُسيا.

خبر وفاة..

ظل مطرقا برأسه عندما تلقى خبر وفاتها، لم يكن في الخبر شرح ولا تفصيل؛ قيل إنها ماتت، لا يعلم السبب. كان لتوه قد بارح فراشه، توجه إلى المطبخ، صنع لنفسه كوب قهوة، ثم جلس في شرفته، يحدق في كل شيء ولا شيء، فارغ البال، ولكنه من فترة إلى أخرى تعتريه نوبات قلق، ومع ذلك لم تفسد عليه طقس تأمله في الشرفة.

رفع رأسه، وضع الرسالة في سلة المهملات، ثم خرج متوجها إلى عمله، كان قد نسيها أو أوشك؛ حتى إن وقع اسمها على مسمعه بدا غريبا للوهلة الأولى. من سمر؟ قلب قليلا في ذاكرته، فوجدها في إضبارة مغبرة على أحد رفوف الأرشيف تحت خانة سنة 1990، حيث كان آخر لقاء بينهما في الخامس من يوليو لتلك السنة، كان يوم زفافها.

انبعثت أجزاء من صورتها، تذكر وجها حنطي اللون مستدير الشكل، وعينين عسليتين، وشفتين ممتلئتين، وشعرا طويلا شديد السواد، وجسدا ليس ممتلئا. لم تكن الصورة واضحة كما ينبغي. وصل إلى عمله، لم يقرر شيئا بعد. لم يصدق. فكر في أنه لا فائدة من الاتصال بها، ذلك لأنه لا يعرف رقم هاتفها، ولا أحدا من معارفها، ولأنها إن صح الخبر قد ماتت، فعلى من يتصل ولم؟ ولم يعرف من أرسل له البريد من الأصل.

عاد إلى البيت بعد يوم عمل شاق، وسقط في فراشه، وغط في نوم عميق. ورأى فيما يرى النائم أن سمر لم تمت؛ كانت ترقبه من مكان بعيد، تنتظر ماذا ستكون

ردة فعله إن علم بموتها رغم كل ما مر من السنين. فاق من نومه، بدا أنه ارتاح بعض الشيء، ارتسمت على وجهه ابتسامة اطمئنان وإن لم يكن مهتما بها كثيرا.

ذهب إلى الشرفة، الجو رطب وهدوء يملأ المكان، نسمات هواء فيها برودة تنبش الذكريات وتعيد الحياة إلى شعور قد مات. ظل هناك حتى أشرقت الشمس. احتسى قهوته، طالع الجريدة، ثم خرج إلى عمله.

تلقى اتصالا في مكتبه، استدعاء من الشرطة. سألوه عن سمر، هل يعرفها؟ أجابهم بكلمة واحدة فقط: «نعم». دخلت فجأة، تسمر في مكانه، تعرق جبينه ولم ينطق بحرف. لم تمت، دفع كفالة مالية وأخرجها. ذهبت معه إلى شقته.

أخبرته بأنهم احتجزوها على ذمة التحقيق في مقتل طليقها، وأنها غير متورطة في ذلك، ولم تعرف أحدا ليكفلها سواه، فبحثوا عنه واتصلوا به. فرح حسام بأنها لا تزال على قيد الحياة وإن كان قد أوشك على نسيانها. أعطاها غرفته ونام هو في الشرفة.

لم يعد يشعر تجاهها بشيء؛ استيقظ وتركها في فراشه، ذهب إلى عمله ككل يوم، ولما عاد وجدها قد غادرت، دون أن تترك له شيئا سوى ورقة كتبت فيها: «لست أنا من أرسل لك خبر موتي». رماها في سلة المهملات هي الأخرى، ظل الأمر مجهولا حتى اليوم لأنه لم يبحثه. لم يهتم به.

كابوس..

يسير في جموع غفيرة تهتف بصوتٍ واحد: «الشعب يريد إسقاط النظام»، «الشعب يريد انتزا ع حريته»، «انتهى زمن العبودية والاستبداد». كان مغمورًا بالنشوة والسعادة في تلك اللحظة، عاش أزهى لحظات حياته. استمر المسير لأشهر. استجاب النظام فخضع فسقط.

لم يصدق ما جرى؛ أصابه دوار فسقط في وسط الطريق. دهسته الجماهير، واختنق. كلما رفع رأسه دهسته قدمُ ثائر، يحاول التقاط أنفاسه حتى شارف على الموت...

استيقظ من نومه. غسل وجهه وارتدى ملابسه على عجل، وخرج إلى الشارع يتفقد أحوال الناس والمحال والقصور والحانات وبيوت الخنا وصالات القمار. كل شيء على ما هو عليه.

ذهب إلى مقهى الحي. شرب قهوته وسأل صاحب المقهى:

هل حدث شيء ليلة البارحة؟
- مثل ماذا؟
- هل لاحظت شيئًا غريبًا في الطرقات؟ هل رأيت ضوءًا ينبعث منها؟
- لا، كانت مظلمةً مقفرةً وسخةً كما هي. ولكن لماذا تسأل؟
- راودني كابوس.

السوط..

بعد أن فرغ من صلاته استلقى على ظهره وغفا؛ تقافزت إلى رؤياه مكبوتات قديمة، وجوهٌ نسيها، وأصواتٌ يعجز عن التعرّف على أصحابها. ولكن الذي استطاع تمييزه بين كل تلك الصور والأصوات صورةٌ واحدة، كانت لوالده.

رآه منكَبًّا فوقه بالسوط، يضربه بلا ذرّة رحمة، يرفع رأسه فيلكمه، يستنجد به فيضاعف لكماته وصفعاته له؛ حدث ذلك وسط شجيرات مزرعة صغيرة كان يسقيها ويعتني بها.

ثم رآه بعدها وهو يطارده في باحة البيت، ومعه سكينٌ مشحوذة يشهرها عليه، يتوعّده بالقتل، وهو يركض ويصيح؛ وقف خلف جدته فحمته منه. ازرورقت شفتاه وجفّ الدم في عروقه؛ لم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره آنذاك.

تتصاعد الأحداث وتتداخل الصور والأصوات؛ رأى نفسه يُرفع عاليًا ثم يُهوى به فوق ظهور إخوته الصغار، لا يدري أين ولماذا حدث ذلك؛ لم تعد الرؤية واضحة.

صحا هلِعًا من غفوته يتصبّب عرقًا، غسل وجهه وخرج يستنشق الهواء أسفل البناية، أشعل سيجارة واتكأ على حائط المدخل، وفجأة رآه مارًّا من أمامه؛ تسمّر في مكانه، انشلّت أطرافه، وانعقد لسانه.

سقط على الأرض. رآه جاره المسنّ، هرع نحوه ورشّ وجهه بقطراتٍ من الماء، واتصل بسيارة النجدة.

استيقظ في غرفة الطوارئ بعد بضع ساعات، سأل عنه على الفور الممرضات: أين ذهب؟

لقد مات منذ عقدٍ من الزمان. يجيبه الطبيب، كان الطبيب ابنه.

كذبة بيضاء..

رياح باردة رغم ارتكاز الشمس في كبد السماء؛ وامرأة شديدة البياض على جانب الطريق تسير؛ يتطاير شعرها الأحمر القاني مع الرياح الباردة؛ ترتدي تنورة قصيرة وكنزة سوداء، وعلى جانبها حقيبة يد بنية اللون. أوقف رجلٌ تلك المرأة التي تسير على جانب الطريق؛ دار بينهما حديث مقتضب، وسرعان ما هوت بكفها على خده الأيسر. ثم تركته وراءها ومضت.

كان سامح جالسًا يتأمل على كرسي حديدي تحت شجرة وارفة في وسط الرصيف؛ شاهد ما حصل أمامه، ولم يفكر فيه كثيرًا. كان خارجًا لتوه من مكان عمله متوجهًا نحو شقته. قرر أن يزور مطعمًا لا يخلو من زبائنه. اشتهى سمكًا مشويًا مع البطاطا المقلية؛ أكل حتى شبع، فرغ من طعامه وشرب بعدها علبة مياه معدنية، ثم قام ليدفع فاتورة طعامه، وخرج مكملًا سيره إلى محطة الحافلات عائدًا إلى شقته.

لاحظ أن تلك السيدة كانت معه في ذات الحافلة التي استقلها. لم يقل لها شيئًا، ولا هي قالت له شيئًا. بدا أنهما لا يعرفان أو لا يتذكران بعضهما. نزل من الحافلة وصعد درج البناية نحو شقته التي كانت في الطابق الخامس. ألقى حقيبته على الأرض، ثم استلقى على السرير حتى منتصف الليل.

صحا ولم يغادر فراشه، دخن سيجارة وهو يفكر: أين سبق ورأيت تلك المرأة البيضاء يا ترى؟ ملامحها ليست غريبة؛ وكأنه للتو أدرك ذلك. باءت محاولات ذاكرته بالفشل. عاد إلى نومه حتى الفجر. صلى الصبح، ثم همّ

بالخروج؛ رأى جارته أم أحمد تشرئب برأسها من باب شقتها.

- صباح الخير، قال لها.

- من أين يأتي الخير؟ ردت عليه.

كان يود أن يسألها عن قصدها، أو عما أغضبها منه، ولكنه شعر أنه في غنى عن الخوض فيما لا يعنيه. ومع ذلك كان متأكدًا من أنها كانت تنتظر أحدًا ما. توجه نحو المستشفى حيث يعمل؛ قام بروتينه اليومي مع المرضى. لم يلفت انتباهه شيء. قعد على كرسيه في مكتبه؛ اشترى له قبل ذلك كوب قهوة، ثم بدأ في قراءة ملفات كثيرة على مكتبه. وبينما هو منهمك في ذلك العمل بين الملفات المتراكمة، دخلت عليه ذات المرأة التي رآها يوم أمس.

- مرحبًا.

سرح قليلًا ثم رد:

- أهلًا، تفضلي.

- شكرًا.

جلست ولم تقل شيئًا، فحاول هو بعد دقائق من الصمت الكلي كسر جمود الجلسة.

- لقد رأيتك يوم أمس تصفعين رجلًا، قال لها.

- لم يكن رجلًا يا دكتور.

- لِمَ، ماذا جرى؟

- لقد خطبني ووعدني بالزواج، وكنت أعد نفسي لذلك، حتى إني اشتريت فستان زفافي، ولكني ألغيت كل شيء يوم أمس. وجدته مع صديقتي، خانني.

- حسنًا فعلتِ، قال لها.

- وما الذي جاء بكِ إليّ؟

- ألست أخصائي نساء وتوليد؟

- بلى.

- أعتقد أني حامل!!

- ماذا؟!

- نعم.

- وكيف أستطيع مساعدتك؟

- أريد أن أجهض يا دكتور.

- ألا تعرفين أن ذلك غير قانوني؟

- ولكني ما زلت في الأسبوع الثالث!

- أعتذر. ابحثي عن غيري.

نزلت دمعة من عينها ورحلت. لم يكن سامح مستعدًا للمخاطرة في مسألة الإجهاض على وجه الخصوص. تذكر بعد أن غادرت أنه قد رآها سابقًا؛ كان ذلك أيام الجامعة، درست لعامين في نفس دفعته، ثم قررت ألا تكمل، وغيّرت تخصصها، لم يرها منذ ذلك الحين. عادت إليه بعد أسبوع، وأخبرته أنها غيرت رأيها ولن تُجهض، ولكنها لا تعرف كيف تواجه عائلتها إذا انتفخ بطنها وعرفوا بحملها. تلك هي كل المشكلة.

- هل تتزوجني؟ باغتته. ثم أردفت: «استر عليّ واحتسب الأجر عند ربك».

تلعثم الدكتور سامح ولم يرد. سكت لبرهة، ثم قال:

- حسنًا، ولكن بشرط، على الورق فقط.

- طبعًا على الورق فقط.

قرر مساعدتها رغم نفوره من فكرة الزواج من الأصل، رأى أن الزواج منها أهون من عملية الإجهاض. كان عازبًا حتى ذلك اليوم. ذهب إلى أهلها بعد يومين، عرفوا أنه طبيب، قبلوا به، تزوجها، وذهبت معه إلى شقته، تم ذلك في غضون شهر على الأكثر.

بعد عام واحد من زواجهما خلعته وعادت بطفلها إلى أهلها.

كان قد أخلى لها شقته واستأجر غيرها، وعندما كان يزورها أحدٌ من أهلها، تتصل به فيأتي على الفور. بعد الانفصال، أو الخلع، عاد هو إلى حياته الطبيعية، غمره شعورٌ بالرضا: أنقذ حياتين أخريين، هكذا أحسّ. ولم يرها بعد ذلك، ولكنه تورّط: ظل ملزمًا بأن يتردد على أهلها من فترة إلى أخرى، يسأل عن الطفل ويدفع مصاريفه حتى لا تنكشف الكذبة.

كانت قد تزوجت ولم تعد تقيم عند أهلها، ولكن طفلها ظل هناك.

كانت كذبة، لكنها كذبة بيضاء، أراد أن يستر عليها.

المحتويات

أرجوك غادر	8
رائحة البحر	12
إرهابي!	15
خائن للوطن	18
مسافر نحو الشمال	23
حلم الاقتران	27
خبر وفاة	31
كابوس	35
السوط	38
كذبة بيضاء	42

السوط

قصص قصيرة

«رآه منكَبًّا فوقه بالسوط، يضربه بلا ذرّة رحمة، يرفع رأسه فيلكمه، يستنجد به فيضاعف لكماته وصفعاته له؛ حدث ذلك وسط شجيرات مزرعة صغيرة كان يسقيها ويعتني بها..»

مختارات قصصية
2026

راكان آل عايض
alayedh.rakan